العنوان:	مقامة " تفضيل النخلة على الكرامة " لعلي النباهي المالقي (713 هـ / 1313 م - بعد 792 هـ / بعد 1390 م)
المصدر:	حوليات الجامعة التونسية - تونس
المؤلف الرئيسي:	النباهي، علي بن عبدالله، 788 هـ
مؤلفين آخرين:	بوزويته، حسناء الطرابلسي(كحقق)
المجلد/العدد:	ع 27
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1988
الصفحات:	199 - 218
رقم MD:	128300
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, HumanIndex, IslamicInfo
مواضيع:	الدواوين والقصائد ، الأدب العربي ، المقامات الأندلسية ، النباهي ، علي بن عبدالله ، 788 هـ ، تحقيق المخطوطات ، الشعر العربي ، التحليل النفسي ، العراق ، مقامة تفضيل النخلة على الكرامة، الأندلس
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/128300

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مقامة « تفضيل النخلة على الكرمة »

لعلي النباهي المالقي

(713 هـ/1313 م ـ بعد 792 هـ/ بعد 1390 م)

بقلم : حسناء الطرابلسي بوزويتة

المقامة بالاندلس :

إن لم تتحدث كتب التراجم وكتب الاختيارات الأدبية عن تناقل مقامات الهمذاني (358 هـ/968 م ـ 398 هـ/1008 م) بالاندلس ، فان مقامات الحريري (446 هـ/1054م ـ 516 هـ/1122 م) قد وصلت اليها ولاقت رواجا كبيرا لدى أدبائها . نقلها اليهم الأندلسيون الذين رحلوا الى العراق وسمعوا المقامات على لسان الحريري ذاته أو بعض تلاميذه . الّا أن المقامة الأندلسية وان شابهت المقامة المشرقية من حيث الشكل ، أي في أسلوبها السجعي ، وفي سردها لأحداث يأخذ فيها الخيال بنصيب وافر ، فقد اختلفت عنها من حيث عدد المقامات وأغراضها . فنجد من الكتاب الأندلسيين من لم يؤلف سوى مقامة واحدة أو اثنتين ، على أنّ أكبر عدد هو سبعة اذا استثنينا مقامات السرقسطي (ت 538 هـ/1144 م) وهي

خمسون . واختلفت الأغراض كذلك وان كانت قليلة منحصرة خاصة في وصف الرحلات والنقد الأدبي وجيَل المكدّين (1) .

على أن هذا الاختلاف لا يحطّ من قيمة المقامة الأندلسية بل يُكسبها طابعا محلّيا مميزا لعلّه يتمثل خاصّة في تنويع الأغراض وادخال غرض المفاخرة فيها (2) . فنجد مقامات في تفضيل النثر على الشعر او تفضيل القلم على السيف أو تفضيل النخلة على الكرمة كما هو الشأن في مقامة النباهي (3) ، وهي التي عنينا بتحقيقها ودراستها في هذا البحث .

مؤلّفها :

والنباهي هو علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي النباهي أبو الحسن المعروف بابن الحسن . وهو قاض وأديب مؤرخ . ولد بمالقة سنة 713 هـ/1313 م وعاش الى ما بعد سنة 792 هـ/1390 م ورحل الى غرناطة ثم ولي خطة القضاء بها . وأرسل مرتين في سفارة سياسية من غرناطة الى فاس سنتي 760 هـ/1359 م و 788 هـ/1386 م . وكان صديقا للسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ/1375 م) ثم انقلبا عدوّين ، فنال منه ابن الخطيب ولقبه بالجُعْسوس (أي القصير) ازدراء به ، وكتب رسالة في هجائه سماها : « خلع الرسن في وصف القاضي ابن الحسن » (4) .

---

(1) محمود طرشونة : « الهامشيون . . . » ، تونس ، 1982 ، ص 50 وما بعدها .
(Les marginaux dans les récits picaresques arabes et espagnols)

(2) ومقامات السرقسطي المشار اليها سمّاها صاحبها « بالمقامات اللزومية » ، وقد التزم فيها ما لا يلزم مبتكرا بذلك نمطا جديدا داخل هذا الجنس الأدبي الخاص ، ألا وهو المقامة فدعم بذلك طرافة المقامة الأندلسية .

(3) ذكر محمود طرشونة هذه المقامة في جدول أحصى فيه المقامات الأندلسية الّا أنه ترجم عنوانها بـ : Controverse entre le palmier et le figuier والمطلع على المقامة يتبين أن الحوار يدور فيها بين نخلة وكرمة أي شجرة عنب لا بين نخلة وتينة .

(4) ذكرها المقري في « نفح الطيب . . . » ، ط . بيروت ، 1968 ، ج 7 ، ص 49 وج 9 ص 307 .

ولابن الحسن كتب مفيدة منها « المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء والفتيا » ، سماه ناشره (5) : « تاريخ قضاة الأندلس » و « نزهة البصائر والأبصار » (6) ، وقد تناول فيه استطرادا تاريخ الدولة النصريّة بغرناطة ، وقد كان حيّا سنة 792 هـ/1390 م (7) .

وقد قال عنه المقري في « نفح الطيب . . . » نقلا عن لسان الدين بن الخطيب : « عفّ النشأة ، طاهر الثوب ، مؤثر للوقار والحشمة ، خاطب للشيخوخة ، مستعجل للشيبة ، ظاهر الحياء . . . حافظ ، مقيد ، طُلَعَةٌ ، إخباريّ ، قائم على تاريخ بلده . شرع في تكميل ما صُنِّف فيه ، ولازم للتقيد والتطريف ، متفرع الاجادات والفوائد . . . حسن الخط ، ناظم ناثر ، نثره يشفّ على نظمه » (8) .

دوافع تحقيقنا لهذه المقامة :

والذي حدا بنا الى تحقيق هذه المقامة يتلخّص في أسباب ثلاثة : أولها أنها غير معروفة رغم أن نصها مطبوع ، وذلك أن الطبعة لم تذكر فيها كلمة المقامة ، وهي من ناحية أخرى مشوّهة محرّفة لا تعطي الدارس فكرة صحيحة عن نثر المالقي فبقيت في عداد المخطوطات (9) .

---

(5) ليفي بروفنسال Lévi - Provençal القاهرة ، 1948 .

(6) ذكره الزركلي في الأعلام .

(7) المرجع السابق .

(8) ج 3 ، ص 469 .

(9) أورد نصها لسان الدين بن الخطيب في « الاحاطة . . . » دون عنوان أو تنبيه على أنها مقامة مكتفيا بالتقديم لها بقوله : « من أمثل ما صدر عنه في غرض غريب ، وهو وصف نخلة بازاء باب الحمراء . ونثره كثير ، ولكنا اخترنا له ما اختار لنفسه ، وأشاد بشفوفه على أبناء جنسه » . (ط 1 ، القاهرة ، 1977 ، بتحقيق محمد عبد الله عنان ج 4 ، ص 95 ـ 100) . ولا يبدو أن الدارسين انتبهوا الى أن هذا الفصل هو المقامة التي كتبها النباهي في تفضيل النخلة على الكرمة .

وثانيها أن لهذه المقامة قيمة وثائقية وان كانت ضعيفة من الناحية الفنية .

أمّا ثالثها فهو حصولنا (10) على مخطوطة بها أصل للمقامة مستقل وشرح لها بقلم المؤلف مستقل أيضا لا يبدو أنهما نشرا أو درسا .

منهج التحقيق :

ولقد اتخذنا من نص المخطوطة المستقلّ (11) ، أصلا في التحقيق . واتّخذنا من شرح المؤلف للمقامة سندا استعنّا به لتوضيح لفظ غامض أو معنى غريب ، وللتحقيق في هيئة كلمة أو تركيب . ولم نُحل على نص المقامة كما ورد في كتاب « الاحاطة . . . » لما فيه من تشويه وبعدٍ عن الأصل .

وقد استعملنا حرف (ش) لما أخذناه من شرح المؤلف وحرف (م) لشروحنا كما شفعنا النص بالنقط المناسب والشكل التامّ والتعريف بالأعلام .

وصف مخطوطة المقامة :

اعتمدنا في تحقيقنا على صورة من نص المقامة ، والأصل محفوظ ضمن مجموع مسجل في الخزانة العامة بالرباط تحت عدد 198/ق . وتقع هذه المقامة في أربع صفحات من المخطوط مرقّمة من 2 الى 5 متبوعة بقصيدة « ممّا نظم أحد الشعراء الكتّاب اثر مطالعة هذا الكتاب » وطالعها ، [الكامل] :

طـالَعْتُ منهـا رَوْضـةً تَتَـأَرّجُ راقَتْ كما راق الصَّباحُ الأَبْلَجُ

وهي قصيدة ذات اثنين وعشرين بيتا من نظم الناسخ المجهول الهوية . والقصيدة متبوعة بشرح النباهي المالقي لمقامته الموسوم بـ « الاكيل في فضل

(10) أمدّنا الأستاذ جمعة شيخة ـ مشكورا ـ بنسخة منها مصوّرة على الميكروفيلم .
(11) وهو مجهول الناسخ .

النخيل » ويقع في 150 صفحة وبآخره تاريخ الفراغ من نسخه وهو « الثامن والعشرون من ذي قعدة عام اثنين وألف » .

وصف الشرح :

صدّر المؤلف شرحه بمقدمة حدّد فيها موضوع المقامة وبيّن فيها قصده من تأليفها والأسلوب الذي اتّبعه في كتابتها . كما علّل عودته في كتاب خاص الى المقامة بالشرح بنقد تعسّفي للمقامة صدر عن كاتب لم يذكر لنا اسمه ولا موضع نقده ، فقال : « أما بعد حمد الله العليّ العظيم ، والصلاة والسلام على مولانا محمد رسوله المصطفى الكريم ، والرضى عن آله وأصحابه أولى الفضل والتقديم ، فاني كنت قد أمليت أحرفا الأيام الماضية ، على لسان نخلة وكرمة جوابا عن سؤال تكرر لديّ في ذلك ممن لزمني السعاية ولم يسعني اذاك خلافه ، نحوت فيه منحى العتاب ، على اهمال بعض الكتاب ، وألممت نبذا من التنبيه ، على صفتي الخامل والنبيه ، والقصد بذلك كله شحذ القريحة ، ومزج الفكاهة بالنصيحة ، رعيا لوسائل السائل ، ولله در القائل ، [الخفيف] :

كلُّ عِلْمٍ يَصِيرُ للمرءِ شُغْلاً بسِوَى الحقِّ قادِحٌ في رشادِهْ
فاذا كان فيه لله حَظٌّ فهو مما يُعِدُّه لمعادِهْ

ثم اني تعرفت عن أحد الأصحاب أنه نقد في المحاورة المذكورة جملة ألفاظ نقد تعسّف حمله على تكلفه هواه ، ولم يشعره بمقدار ما كتبت يداه ، فانه سلك في المراجعة مسلك الخلاف ، والعدول عن طريق الانصاف ، فتوجبت عليّ المطالبة ثانيا برد الجواب ، والله تعالى هو المرشد للصواب . فقلت على جهة التذكرة للنفس الشَّعَاع ، والابانة عن بعض ما في الجَنان بلسان اليراع . . . (12) .

(12) مخطوطة الشرح ، ص 7 .

ومنهج المالقي في الشرح منهج لغوي فقهي . فكان يتوقّف عند المفردات الصعبة أو المشكلة أو الغامضة الدلالة في استعمالات خاصة به لا يتبيّنها الاّ فقيه مثله مطلّع على كتاب الله وسنّة رسوله وأقوال الفقهاء . ولم يكن شرحه لمقامته مجرّد شرح لما فيها من صعوبات بل كان أيضا مناسبة استغلّها النباهي للخوض في كثير من قضايا اللغة والنحو والبلاغة والأدب والتاريخ والفقه ، متّخذا من أسلوب الاستطراد وسيلة تخلّصه من مسألة الى أخرى بحيث كانت تحقيقاته اللغوية والنحوية والتاريخية تطول بصورة لا تخلو من فائدة ولكن لا يحتاج اليها من يدرس المقامة في حدّ ذاتها . فلذلك اقتصرنا على ما ورد في هذا الكتاب من شروح تمسّ نص المقامة وتركنا معظم الشرح لمن يقصده لذاته .

كلمة حول عنوان المقامة :

لم يفتتح نصّ هذه المقامة بعنوان ، ولم يذكر المؤلف في شرحه لها عنوانا على وجه التحديد . وقد اكتفى الناسخ بنعتها بلفظ « المقامة » في تعليق ختمها به ، هذا نصه : « تمّت المقامة المباركة الحسنة المرونقة » ، ولكن الكاتب نعتها في نهاية الشرح بالمقامة النخلية حيث قال : « . . . هذا ما انتهى اليه تقييد الجواب على ما تقدم من ألفاظ **المقامة النخلية** وان كان قد جاء طويلا . . . » (13) الاّ أنه نبّه الى أن فضل النخيل هو المعنى الرئيسي فيها وذلك في العنوان الذي اتخذه للشرح وهو « الإكليل في فضل النخيل » .

وقد اتّخذنا للمقامة عنوان « تفضيل النخلة على الكرمة » لأن في صيغته جمعا بين النخلة والكرمة ، طرفي الموضوع فيها ، وتنبيها الى المفاضلة بينهما ، ولأنها تدرج المقامة في نزعة الأندلسيين الخاصة الى غرض المفاخرة في كتابة المقامة ، عامة وقد تحدثنا عنها ، وكذلك لأن معنى المفاخرة يفهم من عبارات

(13) مخطوطة الشرح ، ص 147 .

تضمنها نص المقامة ذاته ، اذ جاء فيها : « أن تفضيل النخيل على العنب من المسائل التي لا يسع فيها جحد جاحد » ، كما جاء فيها أيضا أنه : « قد لزم التفضيل للنخلة على الكرمة لزوم الصلة للموصول . . . » .

تحليل المقامة :

استهلّ المؤلف مقامته بمقدمة ذكر فيها الدافع النفسي الذي حفزَه الى كتابتها وهو الحنين الى العراق والتعلّق الروحي به . ثم انتقل الى مخاطبة النخلة مسلّما عليها ، ممجدا لها وعقب بنقل جواب النخلة كما تخيّله ، ثم ردّ على النخلة يتهجّم عليها مستفزّا لها بتعديد محاسن الكرمة ، وجاء بعد ذلك جواب الكاتب على لسان أبي عليّ القالي (288 هـ/901 م ـ 356 هـ/967 م) في الدفاع عن النخلة وختم بالتصريح بعجزه عن معارضة القالي واقراره ضمنيّا بفضل النخلة على الكرمة .

وقد تميّزت هذه المقامة بطرافة الموضوع اذ تضمنت تشخيصا للنخلة ومناجاتها ومحاورتها ممّا جعل الحديث عن تفضيل النخلة على الكرمة لا يرد في قالب تقريريّ جافّ ، بل في قالب أدبي سائغ يؤدّي فيه الرمز دورا هاما . فالنخلة رمز المشرق والكرمة رمز المغرب ، والنخلة رمز الإسلام والكرمة رمز ما عداه من الأديان . فتنتهي المقامة بذلك الى مفاضلة بين الشرق والغرب وبين الإسلام والأديان الأخرى . ومن أجل ذلك كانت الحجج التي اعتمدها الكاتب في تفضيل النخلة على الكرمة حججا دينية فقهية ، وتاريخية أيضا اذ ربط تاريخ دخول النخلة الى الأندلس بتاريخ دخول بني أميّة اليها (14) .

ولعل هذه الحجج الدينية الفقهية التي دعت طبيعة الموضوع الى اعتمادها تفسّر غلَبة التفكير الفقهي على النزعة الأدبية في هذا النص الأدبي .

(14) أنظر في بحثنا هذا شرح عبارة « الفيدانة الكبرى » الواردة في المقامة .

الاّ أن السبب الرئيسي في ذلك يعود في نظرنا الى غلبة التكوين الفقهي على المؤلف كما هو الشأن بالنسبة الى معظم أدباء الأندلس وشعرائها ومفكّريها . فهو أديب ومؤرخ ولكنه أيضا وخاصة فقيه وقاض ، لذلك نجده حريصا ـ في شرحه للمقامة ـ على تبرير توخّيه هذه الطريقة في التأليف تبريرا دينيا واثبات موقف الشريعة الاسلامية منها وأنها طريقة غير مستنكرة في الدين ، اذ يقول « . . . وقد خرج بنا الكلام عن الغرض المطلوب وربما يسبق لذهن من لا علم له بالآثار عند الوقوف على هذه الأحرف انكار ما صدر أولا على لساني النخلة والكرمة ، ثم من الاتْباع بالرد والقبول والتوجيه بعد ذلك والتعليل وقد تبين بما ثبت في الحديث الصحيح جواز ذلك وان وقوع مثله ليس بمستنكر لدى من نظر بعين المعرفة وفهم بعض أسرار الشريعة ووقف على باب المخاطبات على طريقة السلف ولم يكن القصد بتلك المحاورة المبْتناة على النخلة غير شحذ القريحة وتنبيه النفس النائمة بالأمثلة المضروبة وحملها على الاعتبار في الموجودات مع الاشعار بما يجب من الرعاية المكمّلة لمن حصلت له مزية العراقة في الاصالة وتوفرت لديه أدوات الخصال السنية والله ينفع بالمنية » (15) .

لذلك كانت لغة المقامة لغةَ فقيهٍ في مستوى المفردات والمفاهيم وفي مستوى الأدلة والحجج وحتى في أسلوب الكتابة الذي يذكّرنا بالخطب الدينية التقليدية .

والمقامة تخضع للسجع من أول فقرة الى آخر فقرة فيها . ويغلب عليها الازدواج حينا والتثليث حينا آخر . وقد كانت الفقرة طويلة المدى مجهدة لمن يقرأها بمراعاة هذه الوحدة الكلامية فيها . وكثيرا ما نجد اختلافا في المدى من فقرة الى أخرى . وقد غلبت النزعة الذهنية على أسلوب الكاتب فيها فقل حظها من الجمال الفني . فاذا نجح الكاتب في تخير الموضوع واعتماد عنصر

(15) مخطوطة الشرح ، ص 68 .

الرمز في الكتابة وتخييل المشاهد فانه لم يسم بها من الناحية الفنية الى مستوى رفيع .

على أن لهذا النص قيمة وثائقية كبيرة فقد أبرز فيه الكاتب أهمّيّة النخلة في الاسلام كشجرة ، ورصعه ببعض ما أثر عن الرسول في شأنها من أقوال ، وما قاله العرب فيها من أمثال . وذكر موقف أهل الديانات الأخرى منها ، كما أبرز قيمتها بالنسبة اليه كفقيه أندلسي وبالنسبة الى أهل الأندلس اذ هي رمز صلتهم الروحية بالشرق ، وعامل من عوامل اذكاء ذلك الحنين المتصل في نفوسهم اليه .

فهذه المقامة تبقى ذات طابع أندلسي متميز رغم أن الدافع الى وضعها لا يخرج عن التعلقّ بالمشرق والحنين اليه .

مقامة تفضيل النخلة على الكرمة

[ص . 2]

بِسْمِ اللهِ الرحمانِ الرحيمِ
صلَّى اللهُ على سيّدِنَا ومَوْلانا مُحمّدٍ وآلِهِ وَسَلَّمَ
للزاويةِ الناضرةِ ، حَفِظَها اللّهُ في السرِّ والعلانيةِ ، آمين

قلت أخاطب مَنْ أَجرى مِنَ السُّراةِ (16) ذِكرَ العراق ، فأَهاجَ للنّفسِ الشَّعَاعِ (17) لَواعجَ الأشواق ، يا أيُّها الأَخلاّءُ الذين لَهُمْ الصّنائع التي تحسُدُها الغمائمُ ، والبدائع التي تَودُّها بَدَلاً أَزْهارُها الكمائم ، بَقِيتُمْ وشَمْلُكُمْ

(16) (م) في الاصل : السرات . والسراة ج سريّ : السيد الشريف السخي .
(17) (م) الشعاع : المتفرق من كل شيء . يقال : طارت نفسه شعاعا أي تبددت من الخوف ونحوه .

جَمِيع ، ورَوْضُ أَمَلِكُمْ مَرِيع (18) ، وكلُّ واحدٍ مِنكم للغريبِ المُعَنَّى مِنْ حَدِيثِ المُحِبِّ سميع ، [الوافر] :

بِأرضِ النَّخْلِ قلبِي مُسْتَهَامُ فَكَيْفَ يَطيبُ لي عنها المُقامُ
لِذاكَ إذا رأيتُ لها شَبيهًا أَقولُ وما يُصاحِبُنِي مَلامُ :
« ألا يا نخلةً من ذات عِرْقٍ (19) عليكِ ـ ورحمةُ اللهِ ـ السّلامُ » (20)

فسلّمتُ يومًا تسليمَ المَبَرّة ، على هذِهِ الشّجرةِ الكريمَةِ البَرَّة ، جارةِ حَائِطِ (21) الدّار ، الواقفةِ للخدمةِ كالمنار ، على سُدّةِ (22) الجدار ، بَياضَ النهارِ وسوادَ اللّيل ، المتلفّعةِ (23) بشعار (24) الوقارِ الطاهرةِ الذَّيْل ، أنيسةِ

---

(18) (ش) جميع بمعنى مجتمع ، ومريع بمعنى مُمْرِع أي مُخْصِب ، يقال أَمْرَعَ المكانُ ومُرِعَ فهو مُمْرِعٌ ومَرِيعٌ .

(19) (ش) ذات عرق موضع بالحجاز ، وهو في الحج ميقات أهل العراق وفارس وخرسان . (م) الميقات ج مواقيت : الوقت . الموعد الذي جعل له وقت ، وقد يستعار للموضع الذي جعل وقت للاجتماع فيه .

(20) (ش) البيت الذي وطأ عليه منشيء المقامة بيتيه المذكورين في القطعة وهو :
ألا يـا نخلة مـن ذات عـرق عليـك ـ ورحمة الله ـ السـلام
لعربي [هو الأحوص] (ت 101 أو 105 هـ/720 أو 725 م) أنشده أبو القاسم الزجاجي [ت 337 هـ/948 م] في « جمله » شاهدا على نصب المنادى اذا كان مفردا منكورا ، ولم ينشده سيبويه في « كتابه » . [أنظر كتاب « الجمل » ، ط 2 ، باريس ، 1957 ، ص 159 بتحقيق ابن أبي شنب . وقول الأحوص « نخلة » كناية عن المرأة وأصل هذه الكناية أن عمر بن الخطاب كان نهى الشعراء عن ذكر النساء في أشعارهم لما في ذلك من الفضيحة وكان الشعراء يكنون عن النساء بالشجر وغيره] .
(م) وطأ الشعر وفيه : تكرر القافية لفظا ومعنى .

(21) (ش) ان المعنى في اضافة الجارة هنا الى حائط الدار غير خفي على من نظر بعين الناصف لوجوه منها : ما في لفظ الجارة من الاشعار بوجوب الرعاية المترتبة لها بمقتضى الكتاب والسنة . قال الله تعالى : (والجارِ ذي القُرْبى والجارِ الجُنُبِ) ، [النساء ، 36] .

(22) (ش) السدة : المكان القريب من المنزل .

(23) (ش) التلفع في اللغة : الاشتمال .

(24) (ش) الشعار : كل ما يلي الجسد من الثياب فهو شعار . وشعار الله ما جعله الله لطاعته ، واحدتها شعيرة .

مَشْيَخةِ الجماعة ، القاطنةِ من الحمراءِ الساميةِ بباب ابنِ سَماعة (25) . فحينَ عطفتُ عليها ، وصرفتُ زِمامَ راحلتي إليها ، ووقفتُ بازاءِ فنائِها وقوفَ المُشفق من (26) فَنَائِي وفَنَائِها ، وقلتُ لها كيفَ هُوَ حالُكِ أيّتُها الجارة ، الساكنةُ بنَجْوةِ (27) الحِجارة ، الواعظةُ للقريبِ والبعيد ، بمَقامِها وانْ كانتْ صامتةً على الصَّعيد ، [الطويل] :

سَقَاكِ مِنَ الغُرِّ الغَوادي (28) مَطيرُها (29) ولا زِلْتِ في خضراءَ غَضَّ نَظِيرُها

فما أَوْلاكِ (30) و رَحَمَاتِ السميعِ المُجيب ، مِنْ باسقةٍ بالتكريمِ والتَّرْجِيب (31) .

خِلْتُها اهْتزّتْ عند النداءِ اهتزازَ السُّرور ، وتَمايلتْ أَكْمامُها (32) تمايُلَ الثَّمِلِ المَسْرور ، ثم قالتْ لسائِلِها ، بلسانِ وسائلِها ، عندَ مشاهدةِ مِثْلِي :

---

(25) (ش) باب ابن سماعة هو الباب الكبيرة الكائن بالجانب الغربي من قلعة دار الخلافة بالاندلس . . . وسماعة رجل من مواليها ، كانت لِوَلَدِهِ عبدِ الله خدمةٌ بذلك الباب فكان يكثر من ملازمته فأُضيفَ اليه من أجل ذلك وشُهر به . والحمراء اسم قد رُسِمَ لتلك الجهة كلّها الى منتهى تاج السبيكة .

(26) في (ش) على .

(27) (ش) النجوة المكان المرتفع الذي تظنه نجاءك .

(28) في الأصل : القوادي ، والاصلاح من (ش) . وفي (ش) الغوادي : المُبرّكاتُ بالمطر من السحاب أي التي تأتي غدوة .

(29) في النص : نظيرها ، والاصلاح من (ش) .

(30) (ش) الأولوية حاصلة متحققة بنص الحديث الثابت في الصحيحن البخاري ومسلم وهو قول النبي (صلعم) : « إنَّ من الشجر شجرةً لا يسقط ورقُها وإنها مثلُ المسلمِ فحدِّثُوني ما هي ؟ » (ونسنك III ، 68) وأنّى نباتٌ أولى بالصون والتكريم من نباتٍ مُثِّلَ به المسلمُ من بني آدم .

(31) (ش) الترجيب : في أصل اللغة : التعظيم وترجيب النخلة هو أن يبتَنَى لها دكان يرفدها من شِقِّ المَيْل اذا كُرِمتْ على أهلها وخافوا أن تقع وذلك البناء هو الترجيب واسمه الرُّجْبَة .

(32) (ش) أكمامها : الأكمام في النخل موجودة في موضعين : فروعِ النخلةِ في أكمامٍ من لِيفِها ، وطلعِ النخلةِ . والكُمّ منَ النبات : كل ما التف على شيء وستره ومنه كمائم الزهر وبه شُبِّهَ كُمُّ الثوب .

تقولُ العربُ : « عَيْنُها فِرَارُها » (33) وآيةُ وجْدِها (34) للناظرين اصْفِرارُها . وجملة نَجِيَّتِي (35) بَعْدَ إتمامِ تَحِيَّتِي ، أَنَّ الدهرَ عَجَمَ قَنَاتِي (36) ومَسَّ الكِبَرُ مَنْعَ سِنَاتِي ، وما عَسَى أَنْ أَبُثَّ مِنْ شَكَاتِي وجُلِّ علاَّتِي ، لَعَمْرُكَ في تركيبِ ذاتِي ، وأَجِدُ مع ذلك أَنَّ وَقاري ، حَسَّنَ / لَدَى الحَيِّ احْتِقَارِي ، وكَثْرَةَ قناعتي ، أَثْمَرَتْ إضاعتي ، وكَمالَ قَدِّي ، أَوْجَبَ قَدِّي (37) ، فما أَنْسَ مِ (38) الأَشْياءِ لا أَنْسَ عَبَثَ مَنْحُوس ، مِنْ أُحْبوشِ (39) اليهودِ أَوِ المَجوس ، يَفْحَصُ بِمُدْيَتِهِ عَنْ وَرِيدِي ، ويَحْرِصُ عَلَى جَبْرِ (40) جَرِيدِي ، وَيَجْدَعُ كُلَّ عامٍ بِخِنْجَرِهِ أَنْفِي ، وكُلَّما رُمْتُ كَفَّ إذايَتِهُ عَلَيَّ كَشَحَ (41) كَفِّي ، فلَوْ رأيْتُمْ صَعْصَعَةَ (42) أَفْنَانِي ، وسَمِعْتُمْ عند جَذْمِ (43) بَنَانِي ، قعقعةَ جناني ، والدَّمْعُ لِمَا جفاني يَفِيضُ مِنْ أَجْفانِي ، والعابِثُ المَذْكورُ [ص. 3]

---

(33) (ش) فِرَارُها : الفِرُّ في أصل اللغة : الاختبارُ التامُّ الدالُّ على المتوصَّلِ به لحقيقة بواطن الاشياء ومنه المثل المشهور وهو قولهم : « عينُه فِرارُه » بضم الفاء وكسرها ومعناه : إذا رأيته تَفَرَّسْتَ فيه الجود . (م) لم نعثر عليه في مجمع الأمثال للميداني .

(34) في (ش) : عين وجدها .

(35) (ش) نجيتي : يقال نجِيِّي ونَجِيَّتِي بكسر الجيم ومُشَدَّدِ الياءِ أي : مُسَارَرَةٌ ويقال ذلك للواحد والاثنين والجميع .

(36) (ش) قناتي : يقال : عجم القناة وصدعها ووصَفها بالقوة والضعف : كل ذلك استعارة جارية مجرى المثل والغرض بها على الجملة تقرير حالة المُخْبَر عنه في نفس السامع بأمر جسمي يتنزل به الصحيحُ منزلةَ العليل والناقصُ منزلةَ الكامل .

(37) (ش) القدُّ المسمى أولا في السجع المراد به القامة والقدُّ المذكور ثانيا المراد به القطع طولا .

(38) (ش) لا خلاف في جواز خذف نون « مِنْ » في مثل الموضوع المذكور . وقد نص على ذلك غير واحد من النحاة في كتبهم منهم ابن مالك [601 هـ/1205 م ـ 672 هـ/1274 م] فقال في تسهيله ما نصه : « تُفْتَحُ نونُ مِنْ » مع حرف التعريف وشبْهِهِ وربما حُذِفَتْ وتُسَكَّنُ مع غيره غالبا » . وقال غيره : « وهو معلَّل بكثرة الاستعمال » . [وكتاب ابن مالك هو : « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » ط ، فاس ، 1323 هـ .

(39) (ش) الأحبوش : الجماعة .

(40) (ش) الجبر : القطع .

(41) (ش) كشح : قطع .

(42) (ش) الصعصعة : الاضطراب .

(43) (ش) الجذم : القطع .

قد شَدَّ ماجَدَّ بأمْراسِه ، وَرَفَعَهُ لِبيعَةِ كُفْرِه على رَأسِه (44) هذا بعدَ الذي وَرَدَ مِنْ وَضْعِهِ عَلَى أَسْنِمَةِ القُبور ، حَسبَما ثَبتَ في الحديثِ المَشْهُور : (45)لَحَمَلَتْكُمْ يا بني سامٍ وَحَام (46) ، على الغيْرة وَشائجُ (47) الأرحام ، فقد علمتُم الأمْرَ (48) الذي نَصُه : أَكْرِمُوا عَمَّتَكُمْ ، وهَبُوها أَنْتُمْ الآن ـ أعزَّكمُ اللهُ ـ أَمَتَكُمْ (49) ، وإنّي من حيث الشَّكْل وان أَصْبحتُ لكم بمثابةوَصِيفَة ، نظيرةِ العُذيقِ (50) المضروب به المثلُ يَوْمَ السقيفة ، لِمَنْ رامَ

---

(44) (ش) البيعة بكسر الباء هي محل اجتماع اليهود . . . والبِيَعُ كنائسُ النصارى واحدتُها بيعة والمعنى في جدّهم جريدِ النخل واستعمالهم الرياحينَ في موسِمهم المعروفِ عندهم بعيد النّوالة هو أنهم لما خرجوا يتيهون في الأرض كما أخبر الله عنهم في كتابه العزيز مع طائفة منهم على ما روي في الآثار اتخذ الباقي من بني اسرائيلَ ذلك الذي دخلوا عليه المدينة عيدا وصاروا في كل عام يضعون نَوَاوِيلَ يُقيمون فيها أياما يتذاكرون فيها بزعمهم ما كانوا عليه اذاك من الجهد وشدة العيش ومن عاداتهم في تلك الأيام إمْساكُ جريدِ النخلِ والخُوصِ والرياحين في أيديهم استبلاغا منهم في دواعي أسباب التذكار لهم فهم على ذلك الايثار يرون أينما كانوا من سائرِ البلدان على الظاهر من حالهم ولذلك شكتِ النخلةُ المعبر عنها بلسان الحال ما أصابها من عدوان الرجل المشار اليه من اليهود بقطع أفنانها وترويع جنانها . والقصد بتلك المحاورةِ كلِّها انما كان تنبيهَ النّفسِ وشحذَ القريحةِ وإيثارَ تَرْكِ التصريح بالذمّ الى ما هو كالمُساوِي له في اللزوم . . . جرْيًا على طريقةِ الأماثل في الأخذِ بالمعاريض وسبيلا الى التعبير عن الفاحش بالطاهر وعن الصعب من القول بالسهل وليَحْصُل بالأمثلةِ المضروبة المطلوبُ من التعميةِ والتعريض معًا بالقضية .

(45) (ش) انكار عذاب القبور هو ثابت بالكتاب والسنة . . . و [الحديث] مذكور في الصحاح ومتداول على ألسنة الجمهور . ففي الحديث ، قال : مر النبي (صلعم) بقبرين يعذّبان . إنهما يعذبان في كثير ، أما أحدهما فكان لا يَسْتَبْرِي مِنَ البَوْل وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ جريدة رِطْبَةً فشقّها بنصْفَيْنْ ثم غرز في كلِ قبر واحدةً فقيل : يا رسولَ الله لِمَ صَنَعْتَ هذا ؟ فقال : لعلّه أن يُخَفَّفَ عنهما ما لَمْ يَيْبَسَا . (م) لم نعثر على الحديث المذكور في ونسنك .

(46) (ش) سام وحام : ولدا نوح . سام أبو العرب وحام أبو الحبش .

(47) (ش) الوشائج : الأرحام المشتبكة : المتصلة .

(48) (ش) يشير بذلك الى الحديث الثابت . . . عنِ النبي (صلعم) وقد اخْتُلِفَ في سبب تسمية النخلة بالعمة [ومن الأسباب أنها] لا تَحْمِلُ حتى تُلَقَّحَ كنساءِ بني آدم . ثبت في صحيح مسلم عن موسى بن طلحة عن أبيه ، قال : مررت مع رسول الله (صلعم) بقوم على رؤوس النخل . فقال ما يصنع هؤلاء ؟ فقالوا : يلقحونه فيجعلون الذكر في الأنثى فتُلَقَّحُ .

(49) (ش) المقصود هنا . . . انما هو تنبيه السامع على ما يجب لمن هو بمنزلة الجارية من الرحمة والرعاية على أقل الحالات . فكيف بمن هو مع ذلك من ذوي الأرحام ؟ .

(50) (ش) العِذْق بكَسْر العين : العنقودُ الكبيرُ مِنَ النخل أو العنب وقيل : غصن له شِعب والعُذَيْق هو تصغير عَذق بالفتح وهو النخلة نفسُها .

مِنْ أَشرافِ الأَنْصارِ أن يكونَ إذَّاكَ خليفة ، وجَدَّةُ أبي كانت الفيدانةُ (51) الكبيرة ، التي حادثَها الأميرُ بالرُّصافةِ الغربيَّةِ مِنْ كُورَةِ أَلْبيرَة (52) . فكيف يَسْهُلُ عليكمْ إهمالي ، ويجْمُلُ لَدَيْكُمْ إخمالي ، وتَرْكُ احْتمالي ؛ والأَيّامُ بحَمْدِ اللهِ مُساعِدَة ، والمُلْكُ مُلْكُ بَني سَاعِدَة (53) .

فلمّا سمعتُ عِتابَها ، وعلمتُ أنها قد شدَّبْتْ للمُساجلةِ (54) أَقْتَابَها (55) ، قلت لها : أَهْلاً بِكِ وَسَهْلاً ، ومَهْلاً عليكِ ثمَّ مَهْلاً . لقد دَهْمَجَ

---

(51) (ش) تاريخ الفيدانة المنبَّه عليه نَقَلَهُ غيرُ واحد منهم : أبو القاسم بن بشكوال في صلته فقال ما نصه : قال أبو بكر بن موسى بن فتح : دخلت يوما على أبي عثمان وهو يُعَلِّقُ فقلت له : رأيتُ الساعة في تَوَجُّهِي اليك القاضيَ والوزراءَ والحكامَ والعدولَ بأجمعهم الى جِيازة الجنّة المعروفة بدُنْبالِس وَهَبَها هِشامُ للمُظَفَّرِ بنِ أبي عامر . قال : فقال لي : ان هِشامَنا لضعيفٌ . هذه الجنة المذكورة هي أصلُ اتخذه عبدُ الرحمان بنَ مُعاوية وكان فيها نخلة أَدْرَكْتُها بسني ومنها توالدت كلُّ نخلةٍ بالأندلس . قال : وفي ذلك يقول عبد الرحمان بنُ معاوية وقد تنزه اليها ورأى تلك النخلة فحَنَّ ، [الكامل] :

يا نَخْلَ أَنتِ غريبةٌ مِثْلي ... في الغربِ نائبةٌ عَنِ الأصلِ
فابْكِي وهلْ تَبْكِي مُكَمَّمَةٌ ... عجماءُ لَمْ تُطْبَعْ على خَتْلِ
لو أنَّها تبكي إذنْ لَبَكَتْ ... ماءَ الفُراتِ ومنبتَ النَّخْلِ
لكنَّها ذَهِلتْ وأذهلني ... بعضُ بني العبّاس عن أصْلي

وليس بمستبعد أن تكون النخلةُ التي بُنِيَ الكلام عليها في المقامة أَوَّلاً قد تولَّدَتْ من النخلة التي أخبر عنها الرواية أبو عثمان المذكور بما أخبر . . . وقد أشار الى ذلك [الحنين] المصنِّف بقوله أوّلَ مَقَامَتِه : « قلت أخاطب من أجرى من السُّراة ذكر العراق فأهاج للنفس الشَّعَاعِ لواعجَ الأشواق :

بأرضِ النَّخْلِ قلبي مستهامُ ... فكيف يطيبُ لي عنها المقامُ »

. . . والفيدانةُ التي حادثها الأمير هي النخلة .

(52) (ش) : ألبيرة اسم أعجمي للقاعدة المنسوبة اليها الكُورةُ وهي البلدة التي انتقلت عمارتها الى غرناطة بعد وفاة المنصور بن أبي عامر أيام ابتداء الفتنة البربريّة . . . وأَلْبيرة أيضا قلعة منيعة على ريف الفرات من ناحية العراق ، كريمةُ البقعة وبيْنَها وبينَ مدينة حلب نحوُ مائةِ مِيل .

(53) (ش) بنو ساعدة : هم وُلْدُ الخزرج بنُ ساعدة وسقيفتهم الى الآن بالمدينة الشريفة معروفة . وهو جَدُّ الملوك ، ملوكِ الأندلس من بني نصر .

(54) (ش) المساجلة : مقابلة المستقي الماء على البئر في الاستقاء بالدلو ومنه قولهم : الحرب سِجال ـ بالكسر ـ أي مرةً لهؤلاء ومرةً على هؤلاء .

(55) (ش) أقتابها : جمع قِتب بكسر القاف وهي حواشي البطن ومصارينه وأمعاؤه ، وعادةُ مَنْ تهيَّأَ لأمر مُهِمّ أن يجمع له نفسه ويستبدل لباسه ويحترم بما أمكنه . والقصد بتلك الكلمات الكنايةُ عن بعض ما لدى النخلةِ المذكورة من الانفعال والمسارعة للجدال على جهة الاستعارة التّبعيّة لا الأصلية .

(56) بعيرُك ، وعادتْ بالخَيْبةِ عِيرُك ، فليستِ الحقيقةُ كالمجاز ، والفرْقُ حاصلٌ بين الصُّدور والأعجاز ، ولغةِ بني تميم والحجاز . هُنَا جنّةٌ مِنْ أَعْناب ، مُرْسلةُ الذيول مُذَلَّلَةُ الأَطْناب (57) ، قد طاب اِشْتِيَارُها (58) وحُمِدَ اخْتِمَارُها واخْتِبَارُها ، وعَذُبَتْ عُيونُ أَنهارِها ، وتفتَّحَتْ كمائِمُ أَزْهارِها ، عنْ وَرْدِها ونَرْجِسِها وبَهَارِها ، وسَرَتْ بِطُرَفِ محاسِنِها الرِّفاق ، حتَّى قَلِقَتْ منها الشَّامُ واليَمَنُ والعِرَاق . قُطُوفُها (59) دانية ، وأَرْزاقُها مُتوالِيَةٌ لا مُتَوَانِيَة .

فعندما كَثُرَ خَيْرُها ، هُجِرَ بالضرورةِ غيرُها ، وأنتِ لا كُنْتِ يا خَشَبَة (60) ، قد صِرْت مِنَ الكِبَرِ (61) عَشَبَة (62) ، لا يُجْتَنَى بَلْحُكِ ولا طَلْعُك (63) ، ولا يُرْتَجى نفعُكِ ، فالأَوْلَى قَطْعُكِ أو قَلْعُك ، وإلَّا فأَيْنَ قِنْوُكِ أو صِنْوُك (64) ، وتَمْرُكِ أَوْ بِسْرُك ، هلَّا أَبْقَيْتِ يا فَسِيلة (65) على نَفْسِك ، ورَعَيْتِ ما بَقِيتِ مَصْلَحَةَ جِنْسِكِ ، فلقد انْتَهَتْ بكِ المُحَاجّة إلى ارْتكابِ ما لا

(56) دهمج بعيرك : قال أبو علي في أماليه : يقال للبعير اذا قارب الخطو وأسرع : بعيرك دهابج ودهامج ، وقد دهمج يدهمج دهمجة . والبعير : الجمل والناقة .

(57) (ش) مذللة الأطناب : التذييل في الاشجار هو أن تطيب الثمرة فتنزل وتنعكس نحو الأرض . والتذليل في ثمار الجنة هو بحسب ارادة ساكنها .

(58) (ش) الاشتيار : الاستخراج من أَشَرْتُ العسلَ وشرّتُه وشرَت الدابة اذا استخرجت جريها .

(59) (ش) القطوف : جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ونحوه .

(60) (ش) خشبة : مفرد الخشب . والخشب : الشّجر المقطوع . وهو مَثَلٌ يُتمثّل به في معرض التوبيخ للمخاطَب والتجهيلِ له .

(61) في (ش) : من الهزال .

(62) (ش) عشبة : لفظ منقول عن أيمة اللغة . ففي الأمالي ما نصه : « يقال للرجل اذا يبس من الهزال : ما هو الّا عشبة وكذلك يقال للكبير الذي ذهب لحمه » .

(63) (ش) البلح والطلع : في الغريب المصنف قال أبو عبيد : الطلع هو الكافور وقال الأصمعي : اذا بدا الطّلْعُ فهو الغضيض ، فاذا اخضرّ قيل غَضْبُ النخل ثم هو البلح .

(64) (ش) القِنْو : العِذق ـ بكسر العين ـ الذي يقال له الكناسة والعُرْجون عُوده الذي ينتظم فيه التمر وهو القِنى أيضا مقصور .

(65) (ش) الفسيلة : النخلة الصغيرة والفسيل أيضا : صغار الشجر .

[ص. 4] يَجوز ، وفي عِلْمِكِ/أنَّ مِنْ أمثالِ الحُكماءِ « أَهْوَنُ هالكٍ عَجوز » ، حَسْبُكِ السَّمحُ لكِ بالمُقام ، ما دُمْتِ حَيَّةً في هذا المَقام .

فانْقطعَ كلامُها ، وارتفعَ بحُكمِ العجزِ مَلامُها ، وما كان الاّ أنْ نُقِلَ مقالي ، فقال المتكلمُ بلسان القالي (66) : أنا أتطوعُ بالجواب ، وعلى اللهِ جَزيلُ الثواب ، لِيَعْلَمْ كلُّ سائِل ، أنَّ تَفْضِيلَ النّخِيل على العِنَب مِنَ المَسائِل ، التي لا يَسَعُ فِيهَا جَحْدُ جَاحِد ، وإنْ كانا أخويْنِ سُقِيا بماءٍ وَاحِد (67) . وقد جرى مِثْلُ هذا الخِطاب ، بينَ يديْ عُمَرِ بنِ الخَطَّاب ، فقال لِأَبي حَشْمَة (68) : أيُّهما أطْيَبُ ، الرُّطَب أم العِنَب ، فقال : ليس كالصَّقْرِ في رُؤُوس الرَّقْل (69) ، الراسخاتِ في الوَحْل ، المُطْعِماتِ في المَحْل ، تُحْفَةِ الصّائِم ، وتَعلَّةِ (70) الصّبِيِّ القادِم ، ونُزْلِ (71) مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَان ،

---

(66) (ش) القالي : هو أبو علي البغدادي المنسوب الى موضع يسمى قالي قلا واسمه اسماعيل بن القائم بن عيذون بن هارون . (م) ولد سنة 288 هـ/901 م وخرج من بغداد سنة 328 هـ/940 م ورحل الى الأندلس سنة 330 هـ/942 م وتوفي سنة 356 هـ/967 م .

(67) (ش) قوله : وإن كانا أخوين سقيا بماء واحد : اشارة الى الاعتبار بقوله تعالى (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [الرعد 4] .

(68) في (ش) أبو حشمة ولعلها حثمة : اختلف الناس في اسمه فقيل : عبيد الله بن ساعدة وعبد الله بن ساعدة بن عامر بن عدي . وحكاية سؤال أبي حشمة عن الرطب وردت بألفاظ مختلفة ، ونص ما في النوادر منها عن الربيع قال : ذكروا عن عمر بن الخطاب أيهما أفضل الرطب أم العنب فقال : ليس كالصَّقْر في رؤوس الرَّقْل والراسخات في الوَحَل . . . ونُزْلِ مريم بنت عمران ، ويَنْضُجُ ولا يُعْنى طابِخُه ويحترش به الضب من الصلعاء ليس كالزبيب الذي إنْ أكلْتَه ضرست وان تركته غرثت . . . ويحترش : يُصَادُ ، والصّلعاء : الأرض التي لا نبات فيها .

(69) (ش) الصَّقْر : الدِّبَسُ بلغة أهل الحجاز . قال الحريري في تفسيره : الصّقر : الدّبس وهو عسل التمر . وقال أبو علي في أماليه : ويقولون : رُطَب صَقْر مَقْر ، والصّقْر : الكثير الصّقْر وصقره : عسله . والمَقْر : المنقور في العسل وكل شيء أنقعته في شيء فقد مَقَرْتَهُ . . . قال : والرَّقْل : الطِّوال من النخل واحدتها رَقْلَة .

(70) (ش) تعلّة الصبيّ القادم : أي قدرَ ما يُعلّلُ به نَفْسَهُ . يُشير الى تَحْنِيك المولود بالتمر عند ولادته وفيه دليل على تفضيل التمر .

(71) (ش) النُّزْل : ما ينساغ من الطعام وقيل : طعام قليل النُّزْل اذا كان لا ينساغ ولا يُنال . النُّزول أيضا : الريع . يقال : أخذ القوم نُزُلَهم أي ما تجري عاداتُهم بأخذه ممّا يَنْزِلون به ويَصْلُح عَيْشُهم به وهو مأخوذ من النزول .

والنَّخْلةُ هِيَ الشَّجَرةُ التي مُثِّلَ بها المُؤْمِنُ مِنَ الإنسان ، ليسَ كالزَّبيبِ الذي إذا أَكَلْتَه ضَرِسْت ، واذا تَرَكْتَهُ غَرِثْت ، ولِفائِدَةِ الرِّوايةِ حُجّة (72) ، لِمَنْ أرادَ سُلوكَ المَحَجَّة (73) ، وعلى كلِّ تَقْدِيرٍ فقد لَزِمَ التفضيلُ للنّخْلةِ على الكرْمة لُزُومَ الصِّلةِ للمَوْصُول ، والنَّصْبِ لِلْمُنَادى المَمْطُول (74) والفَخْرِ لِكِتَابِيْ « المُحَصَّلِ » و « المَحْصُول » (75) . وكمْ على تَرْجيحِ ذلك مِنْ قياسٍ صَحِيح ، ونَقْلٍ ثابِتٍ صَرِيح . قال : واعْتِذَارُكُمْ بالمَهْرَمَة ، عَنْ فِعْلِ المَكْرُمة ، لَامَةٌ في الطِّباعِ كامِنَة ، وشامَةٌ للتَّلف لا لِلْخَلَف ضامِنَة (76) . وذَكَرْتُم الثَّمْرَة والبُسْرة ، والوقتُ ليس بوَقْتِ عَصْرَة ، فإذا ذكرتُم قول القائل ، في بعض المسائل : دَعْنَا مِنْ تَمْرَتانِ وبُسْرَتان ، أَوْ تمرَتَيْنْ وبُسْرتين (77) . وفي التّحدّث بذلك أَدِلّةُ صدْقٍ على تَطَلُّع النفس الفقيرة ، للأغراض

---

(72) في (ش) : وكفى بهذه الرواية حجة لمن أراد سلوك المحجة .

(73) (ش) : المحجة عند أيمة اللغة : الطريق المسلوكة قريبةً كانت أو بعيدةً وكذلك البلاطُ .

(74) في النص : المَطُول والاصلاح من (ش) .

(75) (ش) : تفضيل النخل على العنب صحيح بنص الكتاب والسنة ، واجماع فضلاء الأيمة . . . ونصب الممطول وهو المُطَوَّل لمشابهته بالمضاف . ووجه الشبه أن الأول عامل في الثاني ووالثاني من تمام الأول يقتضي الثاني فلا يجوز فيه الرفع . وان ناديت رجلا اسمُه زيدٌ وعُمَر وقلت : يا زَيْدًا وعُمَرًا أَقْبِلْ نصَبْتَ لِطُولِه أيضا بالعطف وإنْ قلتَ : يا ثلاثةً وثلاثين فجعلْتَ الإسم واحدًا نصبتَ . والفخر لكتابي « المحصّل » و « المحصُول » : يريد بالفخر فخرَ الدين أبا الفضل محمدَ ابنَ عُمَرَ بْنَ الحَسَنِ الرّازي (543 هـ/1149 م ـ 606 هـ/1209 م) ومن مصنّفاته « المحصّل » و « المحصُول » وله الفخر بهما ولهما به .

(76) (ش) قوله : « واعتذاركم بالمَهْرَمَة . . . لا للخَلَف ضامنة » : يشير بذلك الى ما ثبت في الصحيح من حديث سعد بن يسار عن أبي هريرة أن رسول الله (صلعم) قال : ما من نَوْم يصبح العبادُ فيه الّا مَلَكَانِ ينزلان فيقول أحدُهما : اللهم أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ويقول الآخر : اللهم أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا . والمَهْرَمَة : بلوغُ أقصى العُمر ، مِنْ هرِمَ - يَهْرَمُ .

(77) (ش) كلام من الأمثلة المضروبة في باب الحكاية من كتب العربية وحاصل ما في هذه الترجمة أنك اذا استفهمت بمَنْ عن اسم فلا يخلو من أن يكون عَلَمًا كزيد أو غيرَ عَلَم . فان كان علما فللعرب فيه مذهبان أحدهما وهو مذهب أهل الحجاز أن يحكوا كلام المتكلم فان رَفَعَ رَفَعُوا وإن نَصَبَ نَصَبُوا وإن جَرَّ جَرُّوا والثاني من مذهب بني تميم وهم يرفعون على كل حال فتقول على لغتهم : مَنْ زَيْدٌ ومَنْ أخوك سواءٌ رفعتَ أو نصبتَ أو جررتَ . ومِنَ العرب أيضا من يحكي في كل شيء فيقول : عندي تمرتان ودَعْنَا من تمرتان .

التافهة الحقيرة ، والخِلافَة (78) الساميةُ العظمى ، التي تعلَّقَتْ هذه النّخلةُ منها بالجَنابِ الأَسْمى ، أَجْمَلُ مِنْ أن تَلْحَظَ بعَيْنٍ كَمَالِهَا تلك الملاحِظ ، ولو أَصَّلها لديه بِبَيانِه (79) عمرُ [و] بنُ بحرٍ الجاحظ ، إذْ هيَ ـ شَكَرَ اللهُ تعالى فضْلَها ، ولا قَلَّصَ ظِلَّها ـ كالسّحاب تَجودُ بغَيْثِها حتى على الآكامِ والضِّراب (80) ، وليس يَضيعُ مع جَميلِ نَظَرِها ذُو حَسَب ، ولا يُجْهَل في أَيّامِها السّعيدة مِقْدارُ مُنْتَسِبٍ إلى جُرْثُومَةِ نَسَب (81) ، والمطلوبُ منها (82) لِهَذِهِ الشّجرةِ الشَّمّاء ، التي أَصْلُها ثابتٌ وفَرْعُهَا في السَّماء (83) ، انما هو يسيرُ بِنَاء ، وظهيرُ اعْتِنَاء ، وخَمْجَدِيرُماء (84) ، لعلَّ عَبَاسَةَ أَديمِ دَوِّها أَنْ تَذْهَب ، وأَكْمَامَ

---

(78) في نص المقامة المنقول في (ش) : الامامة . والمؤلف في شرحه تارة يستعمل لفظ الخلافة وأخرى لفظ الامامة .

(79) في النص : بيانها . والاصلاح من (ش) . والمقصود كتاب البيان والتبيين للجاحظ (160 هـ/776 م ـ 255 هـ/869 م) .

(80) (ش) الآكام : دون الجبال وأعلى من الرّابية . والضِّراب : الرّوابي الصّغار واحدها ضَرْب .

(81) قوله في الإمامة العظمى : فليس يضيع مع جميل نظرها . . . جُرثومة نسب : هذا الفصل مع ما تعلق به من الكلام هو كالتذييل والتكميل كان من المقاصد المهمة أوّلا في المخاطبة اذ فيه إدماج جملة أنحاء منها الثناء على الخلافة العظمى بالأفعال السنيّة ، ومنها إبداء التعليم والتفهيم في صورة التعلم والإخبار عنها بما هي عليه من جميل السيرة . . . ومن الأنحاء المدرجة في طي الفصل المذكور إشعار المخاطب باستقباح قطع العوائد لغير موجب ظاهر فقد قال الحكماء : قطع العوائد ذنب محسوب وضرب من الهوان بالمقطوع عنه . . . ومن المقاصد المشار اليها ما يقتضيه مصداق الكلام من التنبيه على صون ذوي الأقدار وشرف الأنساب .

(82) (م) الضمير في منها يعود على الإمامة العظمى .

(83) (ش) قوله : والمطلوب منها لهذه الشجرة الشماء التي أصلها ثابت وفرعها في السماء : الشجرة الشماء هي النخلة . وهذا الفصل كله مأخوذ من قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كلمةً طَيِّبَةً كشجرةٍ طيّبةٍ أَصْلُها ثابتٌ وفرْعُها في السّماء تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حين بإذْنِ ربِّها ويَضْرِبُ اللَّهُ الأمثالَ لِلنّاس لعلَّهُمْ يتذكّرُون وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ أُجْتُثَّتْ مِنْ فوقِ الأرضِ ما لها مِنْ قَرَار) ، [25 ـ 26 سورة ابراهيم] . الشجرة الطيّبة هي النخلة في قول أكثر المتأولين .

(84) (ش) قوله : انما هو يسير بناء ، وظهير اعتناء . وخَمْجَدِيرُمَاء : البناء : الاشارة به الى الترجيب وقد تقدم تفسيره . الخمجدير : الماء الذي ليس بعذب خاصة . قاله ابن الأعرابي . وفي النوادر : الخنجدير بالنون بعد الخاء اذا كان ثقيلا أيضا .

كَبَاسَةِ قِنْوِها أَنْ تُفَضَّضَ بنَعيمِ النَّضَارَةِ (85) ثُمَّ تُذَهَّب (86) ، فيعود اليها شرخُ شبابِها ، وتَسْتَحْكِمَ حُمْرَةُ نِقابِها ، وخُضْرَةُ جِلْبَابِهَا ، وذلِكَ كُلُّه بمَنِّ العليمِ الخَبِير ، من أَسْهَلِ العَمَلِ على فضلِ الأَمير ، ونُصْحِ الوَزير ، إذْ هُما على بَيِّنَةٍ مِنْ أَنَّ الإحْسانَ/أَلْقاحٌ والشُّكْرَ نِتاجُه ، والمعْروفَ لِلسعادةِ طَرِيقٌ لا يُسَدُّ رِتاجُه (87) . [

قال المحدث : ومن يا إخْوَتِي لِعَلِيّ (88) ، بمُعارضةِ الحافظِ أَبي عَلِيٍّ (89) ، ولو أنِّي أمسيتُ بمنزلةِ النَّضرِ بَنِ شُمَيْل (90) ، وأصبحتُ أَفْصحَ من عامِرِ بْنِ طُفَيْل (91) ، وكنت أخطبَ من شبيب (92) ، وأشعرَ من حبيب (93) ، وأحكمَ مِنْ أكثم (94) وعَمْرٍو وبْنِ الأَهْتَم (95) ، وعلى أنّه ما قال الاّ حقّا ، فبُعْدًا للمِراء وسُحْقا . ولَكِنَّني أُقسمُ عليكم بمُقِدّر الضياء والحَلَك ،

---

(85) في النص : لنعيم النظارة والاصلاح من (ش) .

(86) (ش) قوله : لعل عباسةَ أديمِ دِوِّها أن تُذْهَب . . . ثم تُذَهَّب : الأديم : الجلد المدبوغ ويُستعار فيقال في وجه الأرض وغيرها . وعبس ، يعبس عبوسا اذا غضب . وأما الدّوّ فالمستوي من الأرض . والكَبْسُ بفتح الكاف نوع من التَّمر طيّب .

(87) (ش) الرِّتاج في اللغة هو الباب نفسه .

(88) (م) في النص : لي علي والتصويب من الشرح .

(89) (م) علي الاول : هو صاحب المقامة . وأبو علي : هو أبو علي القالي وقد تقدم التعريف به .

(90) (م) النضر بن شميل : هو النضر بن شميل بن خَرَشَة (122 هـ/740 م ـ 203 هـ/819 م) : أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة .

(91) عامر بن طفيل (70 ق هـ/554 ـ 11 هـ/632 م) : أحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية دعاه الرسول الى الاسلام ولم يسلم .

(92) (م) : شبيب : هو ابن شبة (ت 170 هـ/786 م) : أحد الخطباء والبلغاء . كان يقال له الخطيب لفصاحته .

(93) (م) حبيب : هو حبيب بن أوس الطي المعروف بأبي تمام (190 هـ/806 م ـ 231 هـ/846 م) من فحول الشعراء العباسيين .

(94) (م) أكثم : هو أكثم بن صيفي (ت 9 هـ/630 م) أحكم حكماء العرب في الجاهلية .

(95) (ش) عمرو بن الأهتم (ت 57 هـ/667 م) : هو الرجل الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنّ من البيان لسِحْرا » في خَبَرِه المشهور مع الزِّبْرِقان بن بدر . وكان عمرو بن الأهتم هذا شاعرا مفلقا له قصائد عديدة .

ومُسَخّر نجوم الفَلَك ، يا صُيَّابَةَ (96) الأَعْراب ، وأُصَيْحَابَ الإعْراب ، وأربابَ فُنونِ الإعْراب ، الاّ ما تأمَّلْتُمْ فصولَ هذِهِ المَقالة ، وأفتَيْتُمْ بما يترجَّحُ فيها مِنْ إجازةٍ أو إقالةَ ، فأنتمْ علماءُ الكلام ، وزُعماءُ كتائبِ الأَقْلام . والمراجعةُ بين الإخوان شِنْشِنَةٌ (97) معروفة ، وطريقةٌ إليها الوُجوهُ في كثيرٍ مِنَ المُخاطباتِ مَصْروفَة ، لازِلْتُمْ مَذْكُورِينَ بالتَّقَدُّمِ في أَهْلِ البَيان ، مَشْكُورِينَ على بذلِ الفَضْلِ مدى الأَحْيان ، واللّهُ سُبحانَه يَجعلُ التوفيقَ حادِيَكُمْ ونورَ العِلْم هَادِيَكُمْ . ومنه جَلَّ اسْمُه نَسْأَلُ (98) لي ولَكُم التَّطْهيرَ من كُلِّ مَعَابَة ، والسَّمْحَ فيما تخلَّلَ هذِهِ المقامَةَ مِنْ دُعَابَة . والتّحيَّةُ الكريمةُ مع السلامِ الطيّبِ المُعاد ، على (99) من يَقِفُ عليها مِنَ الآن الى يومِ المَعَاد ، والرحماتُ والبركاتُ .

تـمّت المقامةُ المباركةُ الحسنةُ الـمُرَوْنَقَةُ ، نفعَ اللّهُ بها وبناظمها ، ويتْلوها الشَّرحُ لـمُؤلفها رحمه اللّه تعالى . . .

حسناء الطرابلسي بوزويتة

(96) (ش) الصُّيّابة : صميم القوم وخالصهم .
(97) (م) الشنشنة : الخُلق والطَّبيعة .
(98) في الأصل : نسل .

(99) في الاصل : يعتمد . . . والتصويب من الشرح .